فروق جوهرية بين النظريات الفرنسية والأمريكية في الأدب المقارن

أ. د. صلاح الدين محمد شمس الدين الأزهري، ود. محمد زكي الأزهري بن عبد الرحمن
من أعضاء هيئة التدريس بالقسم العربي،كلية اللغات واللسانيات، جامعة مالايا، ماليزيا

الملخص

إن الأدب المقارن جوهري لتاريخ الأدب والنقد في معناهما الحديث، لأنه يكشف عن مصادر التيارات الفنية والفكرية للأدب القومي، وكل أدب قومي يلتقى حتما في عصور نهضاته بالآداب العالمية، ويتعاون معها في توجيه الوعي الإنساني أو القومي، ويكمل وينهض بهذا الالتقاء.

فنحن ندرس أولا مفهوم الأدب المقارن عند المدرسة الفرنسية، وهو دراسة الأدب القومي في علاقاته التاريخية بغيره من الآداب الخارجة عن نطاق اللغة القومية التي كتب بها، فإنه يدرس مواطن التلاقي بين الآداب في لغاتها المختلفة وصلاتها في حاضرها أو في ماضيها. والحدود الفاصلة بين تلك الآداب هي اللغات، فلغات الآداب هي ما يعتد به الأدب المقارن في دراسة التأثير والتأثر المتبادلين بينها. ثم نشرح آراء كل من رينيه ولك، وهـ. هـ. ريماك الأمريكيين اللذين لهما الفضل في بلورة التفكير الأمريكي في الأدب المقارن. ونبين الفروق الجوهرية بين النظريات الفرنسية، وبين آرائهما، إذ الأول يدعو إلى توسيع دائرة الأدب المقارن بربطه بالعلوم الإنسانية، والثاني لا يفرق بين موضوعات "الأدب المقارن" و"النقد الأدبي"، لأنه لا يعتبر "التأثير والتأثر" أساسا للدراسة المقارنة. وكذلك نرى منه محاولة إدخال موضوعات في الأدب المقارن لا تندرج فيه.

ولا إنكار من توسيع دائرة الأدب وربطه بالعلوم الإنسانية حسب التفكير الأمريكي، ولكن يجب ألا تكون هذه الانفساحية لطمس هوية الأدب والفن، وخاصة

لأغراض معينة. إن التحديد الجغرافي لمصطلح الأدب المقارن بالمعنى الأدبي واضح وملموس بشكل كاف للتمييز بين كل من الأدب المقارن والأدب القومي والأدب العام والأدب العالمي، ولكن الامتدادات النوعية للأدب وفقاً للمفهوم الأمريكي تثير مسائل خطيرة حول تخطيط حدود الأدب المقارن. ولا شك أن هناك مناطق ومصطلحات كثيرة تتجاور وتتداخل مع (الأدب المقارن) فلا بد من إيضاح معاني هذه المصطلحات، حتى يصبح ممكناً تحديد مصطلح (الأدب المقارن).

١- نظرية المدرسة الفرنسية في الأدب المقارن

نحن نسجل أولا نظرية الأدب المقارن عند المدرسة الفرنسية، وهي كما يلي:

أ- إن الأدب المقارن يدرس مواطن التلاقي بين الآداب في لغاتها المختلفة وصلاتها في حاضرها أو في ماضيها. والحدود الفاصلة بين تلك الآداب هي اللغات، فالكاتب أو الشاعر إذا كتب بالعربية عددنا أدبه عربيا مهما كان جنسه البشري الذي انحدر منه، فلغات الآداب هي ما يعتد به الأدب المقارن في دراسة التأثير والتأثر المتبادلين بينها.

ب- إن الأدب المقارن جوهري لتاريخ الأدب والنقد في معناهما الحديث، لأنه يكشف عن مصادر التيارات الفنية والفكرية للأدب القومي، وكل أدب قومي يلتقى حتما في عصور نهضاته بالآداب العالمية، ويتعاون معها في توجيه الوعي الإنساني أو القومي، ويكمل وينهض بهذا الالتقاء، ولكن لا تقف أهمية الأدب المقارن عند حدود دراسة التيارات الفكرية والأجناس الأدبية والقضايا الإنسانية في الفن، بل إنه يكشف عن جوانب تأثر الكتاب في الأدب القومي بالآداب العالمية.

ج- إنه لا يعد من الأدب المقارن في شئ ما يعقد من موازنات بين كتاب من آداب مختلفة لم تقم بينهم صلات تاريخية حتى يؤثر أحدهم في الآخر نوعا من التأثير، أو يتأثر به.

د- لا يصح أن ندخل في معايير الأدب المقارن مجرد عرض نصوص أو حقائق تتصل بالأدب ونقده لمجرد تشابهها أو تقاربها بدون أن يكون بينها صلة ما نتج عنها توالد أو تفاعل من أى نوع كان. قد يكون هذا النوع من المقارنات مفيدا لتقوية الملاحظة، وللإحاطة بمعلومات كثيرة، ولكن ليست له قيمة تاريخية، حتى يعد في باب الأدب

المقارن. لأننا لا نقصد بدراسة الأدب المقارن إلا الوصول إلى شرح الحقائق عن طريق تاريخي، وكيفية انتقالها من لغة إلى أخرى، وصلة توالدها بعضها من بعض، والصفات العامة التي احتفظت بها حين انتقلت إلى أدب آخر، ثم الألوان الخاصة التي فقدتها أو كسبتها بهذا الانتقال.

هـ- وكذلك ليس من الأدب المقارن – طبقا لما سبق- ما يساق من موازنات في داخل الأدب القومي الواحد، سواء أكانت هناك صلات تاريخة بين النصوص المقارنة أم لا. لأن مثل هذه المقارنات – على أهميتها وقيمتها التاريخية أحيانا – لا تتعدى نطاق الأدب الواحد، في حين أن ميدان الأدب المقارن دولي يربط بين أدبين مختلفين أو أكثر.

و- إن الموازنات الداخلية لأدب واحد، أقل خصبا وأضيق مجالا وأهون فائدة من الدراسات المقارنة، وذلك لأنها لا تشرح إلا نمو الاستعداد والمواهب للكاتب في علاقاته مع سابقيه من أبناء أمته. وكثيرا ما تسير على وتيرة واحدة وفي حدود ضيقة.

ز- إن علماء الأدب المقارن – على اختلاف لغاتهم وميادين بحوثهم – على إيمان وثيق بما أفادهم التاريخ من أن كل أدب لا يستطيع أن يعيش بمعزل عما سواه من الأدب دون أن يصيبه الوهن والذبول ومن أن أجمل نواحي الأدب القومي قد تعتمد في مصدرها على لقاح أجنبي يساعد على ازدهار تلك النواحي في الأدب القومي. هذا إلى أن من فروع الأدب المقارن ما يساعد على فهم الأمة لنفسها، وبرؤيتها صورتها في آداب غيرها، وتلك دروس ذات عظات بالغات في تربية الشعب ومكانته بين الشعوب. هذه هي النقاط الرئيسية للأدب المقارن عند المدرسة الفرنسية. والآن ندرس خطوط النظريات الأمريكية في الدب المقارن.

ح- فالشرط الأول عند المدرسة الفرنسية إذن هو أن تكون الدراسة المقارنة بين أعمال كتبت في لغات مختلفة، وإذا انتفى هذا الشرط خرجت الدراسة من دائرة الأدب المقارن.

ط- والشرط الثاني هو صلة الأديب بالأديب أو الأدب بالأدب، فإذا لم يثبت التاريخ أن أحدهما وقف على فكرة الآخر على أى وجه من أوجه الاتصال، فإن هذا لا يدخل في دائرة الأدب المقارن. وليس من الضروري أن تكون صلة شخصية بين الأدباء، ولكن

يكفي أن يثبت أن الفكرة انتقلت من بيئة إلى بيئة، وانتشرت في تلك البيئة الجديدة. وتلقاها أدباؤها بالمحاكاة بعد أن تأثروا بها.

ي- ويجب ألا ننسى أن اللغات التي تصاغ بها الآداب هي أصلا محلية إقليمية تنشأ استجابة لحوائج الأقاليم وقضاياها التي تعبر دائما عن روح عصرها. واختلاف اللغات شرط جوهري في باب الأدب المقارن. [1]

وأما الخروج من نطاق الأدب المقارن أى من الصلات التاريخية بين الأدب المؤثر والمتأثر إلى اتخاذ الذوق الأدبي الجمالي لكل الشعوب معيارا للأدب المقارن هو تجاوز عن مفهومه الحقيقي خاصة، وعن مفهوم الأدب عامة، لأن الأدب هو اسم للمفارقات.

٢- اتجاهات أمريكية نحو الأدب المقارن

لقد اهتم كثير من الباحثين بدراسة النظريات الأمريكية في الأدب المقارن، ومن هؤلاء الذين اهتموا بها حسام الخطيب، الذي تناولها في كتابه: (آفاق الأدب المقارن) بالشرح والتحليل، وقال:

"فمنذ أن دخل الأمريكيون عالم الأدب المقارن أظهروا عزوفاً شديداً عن التقيد بتشديدات المدرسة الفرنسية، وأحبوا دائما أن يوسعوا باب الأدب المقارن لتدخل فيه مختلف النزعات العالمية والفنية والأدبية الخالصة. ولا سيما خلال ربع القرن الماضي من الاهتمام بالأدب المقارن والانصراف إليه وتنظيم دراسته في الجامعات، ما أهَّلهم لأن يناطحوا مناكب الفرنسيين في مجال زعامة هذا الحقل المعقد من البحث الأدبي، وأن يزحزحوهم عن مواقعهم، وربما في النهاية لأن يبرزوا قوة فائقة (سوبر باور) مرهوبة الجانب في هذا المجال".

يرى حسام الخطيب "أن هذا النمو المتصاعد في الدراسات المقارنية عند الأمريكيين، ربما يرجع إلى رغبة خفية لدى القائمين على الجامعات في فتح النوافذ الأمريكية على نتاج الآداب العالمية في وسط مجتمع دينامي كبير غارق في مشكلاته الخاصة، ضعيف

---

[1] محمد غنيمي هلال (دكتور): الأدب المقارن، مكتبة الإنجلو المصرية بالقاهرة، ١٩٦٢م، ص: ٩-١٩

التأثر أو الإحساس بما يجري في مناطق أخرى من العالم، مشغول بالعلاقات الغربية بين ولايات القارة الأمريكية أكثر مما هو مشغول بالعلاقات بين البلدان والقارات، بل ربما كانت هذه الانعطافة الأدبية تتضافر مع غيرها من البوادر لتشكل نذير عصر أمريكي مطل على المستوى العالمي الحضاري- الثقافي مثلما هو مطل على المستوى السياسي- العسكري- الأقتصادي."[٢]

إن الفضل في بلورة التفكير الأمريكي في الأدب المقارن يرجع بوجه خاص إلى الأديبين الكبيرين البارزين: رينيه ولك، وهـ. هـ. هـ. ريماك. فلنرى ما ذهب إليه كل منهما في شرح مفهوم الأدب المقارن.

٣- النقاط البارزة من تفكير (ولك) في الأدب المقارن

نسجل هذه النقاط من نظرية (ولك) في الأدب المقارن باختصار من كتاب "آفاق الأدب المقارن"، وهي كما يلي:

أ- مصطلح **الأدب المقارن** كما فهمه الفرنسيون متعب وشامل لمجالات مختلفة من الدراسة الأدبية، ولذلك تطور هذا النظام المعرفي ببطء.

ب- اقتصر المفهوم الفرنسي على المشكلات الخارجية مثل المصادر والتأثيرات والشهرة. وخطورة هذه المشكلات أنها قد تركز الاهتمام على كتاب الدرجة الثانية أو على الوسط الزمني التاريخي وتهمل الجوهر الأدبي للظاهرة المدروسة، وبذلك تكون نوعا من (التجارة الخارجية) للآداب متعاملة مع أجزاء متقطعة من النتاج الأدبي وليس مع العمل المحدد بكليته المعقدة.

ج- أفضل دفاع عن الأدب يكون بالتركيز على منظوره وروحه، أى بدراسة الأدب من منظور دولي، ومن هنا يكون الأدب دراسة مستقلة عن حواجز السياسة والجنس واللغة، كما أنه لا يمكن أن ينحصر في منهج واحد،

[٢] حسام الخطيب (دكتور): آفاق الأدب المقارن، الطبعة الثانية، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٩م، ص: ٤٦

فالوصف، والتشخيص، والتفسير، والقص، والتوضيح، والتقديم، كلها تستخدم في معالجته، كما تستخدم المقارنة تماماً، وتشمل المقارنة – كذلك – اللغات والأجناس الأدبية التي لا ترتبط تاريخياً، كما أنه لا يمكن أن ينحصر في تاريخ الأدب، ويستبعد النقد والأدب المعاصر، إذ لا يمكن أن يُعد المنهج التاريخي هو المنهج الممكن الوحيد حتى بالنسبة لدراسة الماضي، لأن الأعمال الفنية آثار وليست وثائق.

د– هناك ثلاثة أفرع أساسية للدراسة الأدبية هي: التاريخ الأدبي ونظرية الأدب والنقد الأدبي، وكل منها يتضمن الآخر. والأدب المقارن، شأنه شأن الأدب القومي، لا يستطيع أن ينفصل عن دراسة الأدب في جملته، ولن يستطيع الأدب المقارن أن يفيد ويخصب إلا إذا تخلص من الحدود المصطنعة وأصبح مجرد دراسة للأدب.

هـ– من مهمات الأدب المقارن إعادة كتابة التاريخ الأدبي بوصفه تركيباً وعلى مستوى فوق قومي، ودراسة الأدب المقارن بهذا المعنى تتطلب كفاءات لغوية ومنظورات واسعة وإخمادا للعواطف المحلية والإقليمية، وهي أمور ليست سهلة، ويجب النظر إلى الأدب على أنه كل واحد على المستويين الفني والإنساني.[٣]

٤– ملاحظات على آراء (ولك) في الأدب المقارن

وحين ندرس هذه الآراء نلاحظ أن (رينيه ولك) اعترض على وضع حدود للأدب المقارن ودعا بشدة إلى الانفتاح، حتى كاد يلغي الأدب المقارن، إذ ينسب إليه كل شئ. ومعنى ذلك أنه يريد أن يجتمع في كل واحد "النقد الصحيح" و"تاريخ الأدب" و"الأدب القومي"

---

[٣] رينيه ولك: "نظرية الأدب" (Theory of Literature) الطبعة الأولى ١٩٤٩م، ترجمة محيي الدين صبحي، المجلس الأعلى للآداب والفنون والعلوم الاجتماعية،الطبعة الأولى، دمشق، ١٩٧٢م. المؤسسة العربية، بيروت،١٩٨١م. وانظر: آفاق الأدب المقارن، ص: ٤٧– ٤٨

و"الأدب العام"، ولا ينسى أن يؤكد في السطر الأخير الحاجة إلى المنظور الواسع الذي لا يحققه لنا إلا الأدب المقارن. كما هو واضح من الفقرة الختامية من كلامه، التي تعتبر خلاصة ما توصل إليه في هذا الباب، يقول:

"فيما لا شك فيه أن الأدب المقارن يريد تخطي الأهواء القومية والنظرات الضيقة، ولكنه لا يتجاهل وجود التقاليد القومية المختلفة وحيويتها ولا يقلل من أهميتها. وعلينا أن نحذر من الاختيارات الزائفة التي لا ضرورة لها، لأننا نريد كلاّ من الأدب القومي والعام. ونحتاج إلى كل من التاريخ والنقد الأدبيين، ونحتاج إلى المنظور الواسع الذي لا يحقّقه لنا إلا الأدب المقارن".[٤]

ولكننا نلاحظ عدم صحة قوله في البند الثالث: "إن اللغات والأجناس الأدبية لا ترتبط تاريخيا، وكذلك نلاحظ وجوب تفريق بين تاريخ الأدب القومي، وتاريخية الصلات بين أدب وأدب. لأن تاريخية الصلات معناها أن البحث في النصوص الأدبية يحتاج إلى نظرات تاريخية تحدد نمو الظاهرة الأدبية من داخلها وانتقالها من أدب إلى أدب أو اختلاطها بظاهرة أدبية أخرى على نحو يؤلف شيئا جديدا، وهكذا...

ونظرية الأجناس الأدبية: (Literary Genres) تقوم أساسا على عنصر الزمن لتكشف عن تأثر اللاحق بالسابق، بحيث يكون على الناقد أن يعرف خصائص النص الذي ينقده وما قد أضيف إليه منها أو عدل عنه إلى غيرها، فكان من ثم الجديد أو المخترع أو الجمود الذي لا يضيف فضلا للفنان...فلقد أصبح من المقرر أن إحاطة النص الأدبي بهذه المعرفة التاريخية النقدية يخدمه ويستكنه جوهره ويرسم أبعاده الحقيقية، لهذا كان لابد لأى ناقد من أن يلزم نفسه بقراءات مقارنة.[٥]

فمعنى ذلك أن أمام المقارن أو الناقد الأدبي نصا وفنانا أو أثرا أدبيا وصاحبه، وبجانب هذين ثمة قيم يفرضها نوع الأثر الأدبي وحقائق يقررها موقف الأديب، وهذا لا يخفى

[٤] رينيه ولك: " اسم الأدب المقارن وطبيعته"، في مفاهيم نقدية ص:٢٣١. وشفيع السيد: ترجمة المقالة نفسها في (فصول من الأدب المقارن)، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٨٩م، ص: ٩-٤١

[٥] أحمد كمال زكي (دكتور): دراسات في النقد الأدبي، دار الأندلس للطباعة – لبنان، ١٩٨٠م، ص: ٢٥- ٢٦

إطلاقا – في تحديد ملامح المؤلف– دور التاريخ من حيث هو علم يسجل نشاطات الإنسان على مدى الزمن.. ولذلك نرى اليوم أن فلسفة النقد الأدبي تتلاقى مع فلسفة التاريخ المعاصرة، حتى لنرى "أميل بريبه" يتحدث بثقة عن النقد التاريخي.[٦]

ومعنى ذلك أن للتاريخ دور كبير في شرح الآثار الأدبية لا يمكن تجاهله، ولكن يجب على الناقد الأدبي ألا يسرف في البعد عن فنية النص، كما يجب أن يستمد من المؤلف مباشرة ما يلقى الضوء على أثره.

ويبدو أن الغموض وعدم معرفة الحدود المرسومة لمنطقة الأدب المقارن عند (رينيه ولك) هو الذي دفعه إلى انفساحية فكره، ونقضه لكل مفهومات الأدب المقارن السابقة والمعاصرة له.

فمن الواضح أن (ولك) يمثل اتجاها أمريكياً إطلاقيا، لا يرى للدراسة المقارنة أية حدود ويدخل فيها المقارنة المفتوحة وعلاقة الأدب بالفنون والمعارف الأخرى، ويرفض التفريق المصطنع بين مناهج دراسة الأدب. ويبدو أن انفساحية فكره ونقضه لكل مفهومات الأدب المقارن السابقة والمعاصرة له هي المسئولة عن أن الأدب المقارن في الثقافة الأنكلوسكسونية ظل إلى عهد قريب رجراجاً غامض الحدود، وتنطوي تحت اسمه دراسات أدبية وأبحاث نقدية لا يكاد يجمعها جامع، وهذا ما يفسر جزئيا عزوف الجامعات البريطانية عن تخصص الأدب المقارن.

ومن المفيد أن نذكر هنا كيف تطورت النظرة في تاريخ الأدب ونقده في القرن التاسع عشر، نتيجة للحركة الرومانتيكية وللنهضة العلمية. وكان أساس هذا التطور الاعتداد بالحقائق التاريخية أساسا لشرح الإنتاج الأدبي، وكان مظهره واضحا في التحليل الدقيق الصادق للنصوص الأدبية وحالة مؤلفيها وثقافتهم ومنزلتهم في مجتمعهم وفي شعوبهم، ثم في الدراسات التركيبية المبنية على هذا التحليل الدقيق. فلم يعد هناك مجال لإلقاء القول على عواهنه في القضايا العامة وفي الحقائق الأدبية في تعميم سريع لا تعمق فيه، بل أصبح التخصص والاستيعاب أساسا لكل بحث مثمر.

---

٦. Transformation de la Philosophy: p.١٥٥, Paris ١٩٥٠

أما علاقة الأدب بالفنون، فالأدب من الفنون الجميلة – كما هو معلوم– والأدب والفن يستمدان عناصرهما من التراث والقيم والأخلاق والدين والعادات والتقاليد وما إلى ذلك، ولذلك لا تنقطع صلتهما بماضيهما، بل الأدب هو الماضى المستمر، والعلوم تستمد عناصرها من النظريات العقلية المستجدة، والعقل يغير مساره في استنتاجاته الفكرية كل لحظة وحين، فالنظريات العقلية يمكن تسقط أية لحظة، وتحل محلها نظريات أخرى جديدة لا صلة لها بالنظريات السابقة. صحيح أن الأدب والفن يستفيدان من التجارب العلمية، ولكن يجب أن نفرق بين الأدب والفن من جهة، والعلوم بمعنى (Science) من جهة أخرى. فلا إنكار من توسيع دائرة الأدب وربطه بالعلوم الإنسانية، ولكن يجب ألا تكون هذه الانفساحية لطمس هوية الأدب والفن أو لأغراض سياسية معينة.

٥– نظرية (ريماك) الأمريكية في الأدب المقارن

يعرف (ريماك) بالأدب المقارن، ويقول: "الأدب المقارن هو دراسة الأدب خلف حدود بلد معين، ودراسة العلاقات بين الأدب من مناطق أخرى من المعرفة والاعتقاد من جهة أخرى، وذلك من مثل الفنون (كالرسم والنحت والعمارة والموسيقا) والفلسفة، والتاريخ، والعلوم الاجتماعية (كالسياسية والاقتصاد والاجتماع)، والعلوم والديانة، وغير ذلك. وباختصار هو مقارنة أدب معين مع أدب آخر أو آداب أخرى، ومقارنة الأدب بمناطق أخرى من التعبير الإنساني".[٧]

---

٧. "Comparative Literature: Its Definition and Function" by Henry H. H. Remak, in: Comparative Literature: Method and Perspective, edited by Newton B. Stalknecht and Horst Frenz, U.S.A, Arcturus Books, October ١٩٧٣.

إن (ريماك) يعلم أن تعريفه هذا يقبل أو يرفض من دارسي الأدب المقارن، لأنه يدرك تماماً، ويجب أن يدرك الفرق الشاسع بين هذا التعريف وبين تعريف مدرسة المقارنين الفرنسية.

إن **القسم الأول** من تعريف (ريماك) يتماشى على نحو عام مع مفهوم المدرسة الفرنسية الأصلي للأدب المقارن، ولكن هناك اختلافاً شديداً في نقطة التركيز، ولا سيما في مجال المسائل العلمية. أن المدرسة الفرنسية تفضل الخوض في المسائل التي يمكن أن تحل على أساس البيّنات الملموسة، المستندة غالباً إلى الوثائق الشخصية. وهي تحاول أن تستبعد النقد الأدبي من منطقة الأدب المقارن. وتنظر إلى الدراسات التي تعتمد على مجرد المقارنة، مجرد بيان أوجه الشبه وأوجه الخلاف. وحتى مسائل التأثير كان يجري تناولها بحذر، وقد دعا كل من (كاريه) و(غويار) إلى التركيز على مسائل مثل الاستقبال والوسطاء والسفر إلى الخارج، أي انتقال المادة الأدبية من حدودها إلى الخارج، واستقبالها من الآداب في حدود غيرها ثم المعابر والوسائط التى ساعدت في نقلها. وكذلك اهتمّا بدراسة المواقف تجاه بلد معين في أدب بلد آخر خلال فترة محدودة.

على أي حال كان هناك انهماك فرنسي في دراسة التأثيرات واجتناب لمسائل خاصة بالتذوق الفني والتقييم أو النقد الأدبي، مع أنه – في رأي ريماك – يمكن للدراسة المقارنة غير القائمة على أساس التأثير أن تفسح مجالاً أكبر لإيضاح جوهر النتاج الأدبي، فكأنما الانهماك في مسألة التأثير حجب هذا الجوهر.

وبالنسبة **للقسم الثاني** من التعريف الذي يدور حول العلاقة بين الأدب وحقول المعرفة الأخرى، يوجد في رأي (ريماك) اختلاف جذري بين المدرستين الأمريكية والفرنسية. إذ نادراً ما أبدى الفرنسيون من مثل (فان تييغم) و(غويار) و(إيتامبل) التفاتاً نحو هذه العلاقة، واستمر ذلك لدى الأجيال اللاحقة، في حين جرى تركيز شديد على هذه المسألة من قبل الباحثين الأمريكيين، وإن كان بعضهم يصرُّ على أن تتمّ المقارنة من خلال اختلاف جنسيات الآداب. وبالطبع يهتم الفرنسيون بالمقارنة بين الفنون المختلفة، ولكنهم لا يعتقدون أنها تدخل في نطاق الأدب المقارن.

ويشير ريماك بحق إلى أن التيارات والحركات الأدبية ضمن أدب قومي واحد لا يمكن بأي حال أن تكون (أدباً مقارناً) لأنه يؤدي إلى مفهوم كاذب للأدب المقارن، وإن إفساح المجال لاحتواء الأدب المقارن على كل شئ يتصل بالأدب يجعل منه مصطلحاً غير ذي معنى تقريباً. فكأن (ريماك) يردّ أيضاً على دعوة (رينيه ولك) بتوسيع الأدب المقارن وإشراكه مع التاريخ الأدبي والنقد والتخلي عن رسم حدوده.

ويدعو (ريماك) إلى مزيد من الدقة في المستقبل إزاء تحديد (مقارنية) أي موضوع معطى بحيث لا يدخل في نطاق الأدب المقارن من الموضوعات إلا ما كان مناسباً ومسوّغاً. فمثلاً ينبغي التأكيد من أن المقارنات بين الأدب وبين حقول أخرى غير أدبية لا تدخل في نطاق الأدب المقارن إلا إذا كانت نسقية Systematic وإلا إذا جرت دراستها باعتبارها نظاماً Discipline غير أدبي قابلاً للانفصال مستقلاً، إن (ريماك) يشعر تماماً بدقة المشكلة، وفي أعماقه يدرك جيداً أن توسعه في تحديد مجال الأدب المقارن يحمل خطر انزلاق هذا النسق العام للدراسة الأدبية، وبالتالي فقدانه لخصوصيته ولمسوّغ وجوده، ولذلك يحاول أن يلجأ إلى التحديد الدقيق، فيقول:

"ولا نستطيع أن نصنف الجهود البحثية تحت عنوان (الأدب المقارن) لمجرد أنها تعالج تلك الجوانب الداخلية للحياة والفن التي لا بد من أن تنعكس حتماً في كل أدب، وإلا فما الذي يمكن أن يتناوله الأدب سوى هذه الجوانب؟ إن بحثاً حول المصادر التاريخية للمسرحية الشكسبيرية لا يمكن أن يكون من (الأدب المقارن) إلا إذا كان مركزا حول بلد آخر، أو كان التاريخ والأدب فيه القطبين الرئيسيين للبحث، وكانت الحقائق والأخبار التاريخية وتمثلاتها الأدبية قد أخضعت لتقييم ومقارنة نسقيين، وكانت النتائج التي تمّ التوصل إليها ذات صلة بكل من المنطقتين المعنيتين.[٨]

ويعترف (ريماك) أنه يميل إلى تفضيل المفهوم الأمريكي للأدب المقارن. ويشدّد (ريماك) على ضرورة العمل الجاهد من أجل التوصل إلى حد أدنى من المعايير المترابطة التي

---

[٨] المرجع السابق، ص: ٥٣-٥٤

ترسي حدوداً واضحة لأى حقل مقترح، ولكن في الوقت نفسه يحذر من المبالغة في التأكيد على الوحدة النظرية لئلا تؤدي إلى إهمال الجانب الوظيفي الهام للأدب المقارن. فيقول:

"مهما يكن من أمر طبيعة الخلاف حول الجوانب النظرية للأدب المقارن فهناك اتفاق على مهمته: أن يعطي الدارسين والمعلمين والطلاب، وأخيراً وليس آخراً القراء. فهما للأدب بكليته أفضل وأكثر شمولاً وأقدر على تجاوز جزئية أدبية منفصلة أو عدة جزئيات معزولة. وإنه يستطيع أن يفعل ذلك لا عن طريق إقامة الصلة بين آداب متعددة فحسب، بل كذلك عن طريق الوصل ما بين الأدب وما بين حقول أخرى من المعرفة والنشاط الإنساني، ولا سيما الحقول الفنية والأيدولوجية، وذلك بتحديد الاستقصاء الأدبي على النطاقين الجغرافي والنوعي".[٩]

هذه هي خطوط ما يمكن أن يسمى "النظرية الأمريكية في الأدب المقارن" قام بعرضها (هنري هـ. هـ. ريماك) في مقالته التأسيسية: "الأدب المقارن: تعريفه ووظيفته". ولكنها لاتزال غير واضحة، ولذلك حاول أن يبين الفرق بين (الأدب المقارن) و(الأدب القومي) من جهة، وبين (الأدب المقارن) و(الأدب العالمي) من جهة أخرى. –كما سنرى–

٦- ملاحظات على آراء (ريماك) في الأدب المقارن

إذن، لا يشترط (ريماك) ثبوت التأثر والتأثير أساسا للدراسة المقارنة، وبذلك يفرغ المدرسة الفرنسية من منطقها وفلسفتها، ويجازف بتقريب الأدب المقارن من النقد الأدبي، ذلك أنه ما لم تتوصل المقارنة المقصودة إلى نتائج معينة خارج نطاق التذوق الأدبي، فإنها تتعرض لأن تغدو عملاً خاصا لحساب النقد الأدبي. ومن المعروف أنه من بين الأسلحة التي استعملتها النقد الأدبي عبر العصور ثبت أن سلاح (المقارنة) هو الأشد مضاء والأكبر قدرة على الإقناع. ويرتبط التذوق الجمالي عادة ارتباطاً وثيقاً بالمقارنة، إن المقارنة هي الأداة النوعية للتذوق الجمالي، والمدرسة الفرنسية لاتطمئن كثيراً إلى هذا السلاح ذي القابلية الفنية الكبرى، وإن كان غير فني بالضرورة، لأن ميدانها هو البحث العلمي لا التذوق الفني.

---

[٩] المرجع السابق، ص: ٥٤-٥٥

من الغريب أن (ريماك) يتحدث عن التذوق بالجمال الفني وتقييمه، ونسي أن الجمال الفني يرتبط أساسا بالأشكال الفنية أو الخصائص الفنية التي نسميها مظهرا خارجيا للأدب بما فيه اللغة التى تصاغ بها الآداب.

ثم "هناك أشياء من الأشياء ندركها ونحس بها، ولكن التعبير عنها بالكلمات أمر صعب للغاية، مثل الجمال في الألحان والأنغام" كما نجد عند الآمدي في كتابه (الموازنة) [١٠]. فكيف يمكن أن يرتبط التذوق الجمالي بالمقارنة والتقييم ارتباطا وثيقا، والترجمة عاجزة تماما عن نقل الخصائص الفنية من لغة إلى لغة؟

صحيح إن النقد الأدبي يستعين بنتائج المقارنة في الأحكام النقدية أحيانا كثيرة، ولكن التذوق الأدبي أو الذوق الأدبي له ارتباط وثيق بالنقد الأدبي أكثر من الأدب المقارن. وبناء على هذا يمكن أن نفرق بين النقد الأدبي والأدب المقارن الذي يدرس الصلات التاريخية بين أدب وأدب. لأن حدود اللغات تحول دون تحقيق هذه الغاية من الدراسات المقارنة. (يعني دراسة الخصائص الفنية التي تمتاز بها الآداب القومية بمميزاتها المحلية أو الإقليمية)

ويبدو أن (ريماك) لا يفرق بين "الأدب المقارن" و"النقد الأدبي" لأنه لا يعتبر "التأثير والتأثر" أساسا للدراسة المقارنة. وكذلك نرى منه محاولة إدخال موضوعات في الأدب المقارن لا تندرج فيه.

على أن (ريماك) يشير إلى أن مجرد دراسة الأدب القومي خارج حدوده ترتب على الباحث المقارني عبئاً مضاعفاً، فما بالك إذن بالتصدي لعلاقة الأدب نفسه بما هو خارج حدوده الأدبية. ألا يقود ذلك إلى البهلوانية والاستعراضية؟ ويعترف ريماك باعتراض آخر يمس الجوهر، مفاده أن إدخال هذا الموضوع في نطاق الأدب المقارن، لابد من أن يسوق إلى الخوض في موضوعات أخرى كثيرة، ربما ينضوي بعضها تحت عنوان (الأدب العام)، بحيث يتسع مفهوم الأدب المقارن إلى درجة أنه يمكن أن يشمل كل ما يتصل بالأدب، ومثل هذا الاتساع يجرد الأدب المقارن من منطقته ومعناه.[١١]

---

[١٠] طه مصطفى أبو كريشة (دكتور): ميزان النقد الأدبي، مطبعة المليجي بالجيزة، القاهرة، ١٩٧٦م، ص: ١٢.

[١١] حسام الخطيب: آفاق الأدب المقارن، ص: ٥٢-٥٣

ولكن هذا الكلام من ناقد مثل (ريماك) يدعونا إلى الاستغراب، لأنه يدرك الفرق بين التعريف الأمريكي والفرنسي يعني أن هناك فرق واضح بين القول بأن مهمة الأدب المقارن هي دراسة الأدب القومي خارج حدوده الجغرافية، وبين القول بأن مهمته هي دراسة امتدادات الأدب خارج حدود الأدب الخاصة. وفي حين أن التحديد الجغرافي لمصطلح الأدب المقارن بالمعنى الأدبي واضح وملموس بشكل كاف، فإن الامتدادات النوعية للأدب وفقاً للمفهوم الأمريكي تثير مسائل خطيرة حول تخطيط حدود الأدب المقارن.

صحيح أن هناك كثير من هؤلاء الذين يذهبون إلى أن على الباحثين في الأدب وتاريخه أن يتجاوزوا – في آفاق بحوثهم– حدود الأدب المقارن إلى ما هو أهم وأشمل من خدمة تاريخ أدب أمة بعينه. فعليهم أن يتطلعوا إلى دراسة الحقائق المشتركة في الآداب الدولية في جملتها، وأن يعنوا بكتابة تاريخ تلك الحقائق، عمادهم في ذلك تاريخ الآداب القومية ونصوصها، وأبحاث الأدب المقارن التي سبق أن قام بها علماء لاستجلاء نواح خاصة بالآداب القومية. وهذا هو ما يعنونه بالتاريخ العام للآداب، أو الأدب العام. فميدان الأدب العام، إذن، هو: "الحقائق الأدبية والأفكار والمشاعر العامة التي لا تفهم في أدب واحد بدون دراستها لذاتها في آداب كثيرة، في أصلها ونموها وتطورها".[١٢]

هناك مناطق ومصطلحات كثيرة تتجاور وتتداخل مع (الأدب المقارن) ولا بد من إيضاح معاني هذه المصطلحات: (الأدب القومي) و(الأدب العالمي) و(الأدب العام) حتى يصبح ممكناً تحديد مصطلحات الأدب المقارن.

١– الأدب المقارن والأدب القومي

ليس ثمة فرق جوهري بين مناهج البحث في الأدب القومي وفي الأدب المقارن. على أن هناك من الموضوعات التي يواجهها البحث في الأدب المقارن ما يتجاوز حدود دراسة الأدب القومي: التماس والتصادم بين الثقافات المختلفة بوجه عام، والمسائل المتعلقة بالترجمة بوجه

١٢. P.V. Tieghem; *La Literature Comparee*, pp ١٦٩-٢

خاص. وهناك موضوعات أساسية واردة في دراسة الأدب القومي ترد في الأدب المقارن من خلال أنماط مختلفة نوعاً ما، وتميل إلى احتلال منزلة أكثر أهمية فيه: الزي، والنجاح، والاستقبال، وتأثير الأدب، وكذلك السفر والوساطات.

وحتى من الناحية الجغرافية يصعب أحياناً وضع تمييز محكم بين الأدب القومي والأدب المقارن. وكيف يمكن أن نتعامل مع مؤلفين يكتبون بلغة واحدة ولكنهم ينتمون إلى أمم مختلفة؟

ويعطي (ريماك) أمثلة كثيرة على التداخل اللغوي للآداب القومية، وبعد ذلك يثير نقطة شديدة الأهمية تتعلق بالتغير القانوني الذي يطرأ على جنسية بعض الأدباء أحياناً.

وبالمقابل هناك مؤلفون ينتمون إلى أمة واحدة، ولكن يكتبون بلغات أو بلهجات مختلفة. هناك مشكلة علاقة الأدب الويلزي بالأدب الإنجليزي، وعلاقة الأدب الفلمنكي بالفرنسي (في بلجيكا)، وعلاقة الأدب الصقلي بالإيطالي، والأدب الأوكراني بالروسي، والأدب الباسكي والكاتالاني بالأدبين الإسباني والفرنسي، وهذه العلاقات تثير مسائل لابد من معالجتها حالة فحالة. ويحدد (ريماك) القاعدة هنا على النحو التالي:

"كل باحث يؤكد أن موضوعا تداخلياً من هذا النوع هو موضوع مقارن، يجب أن يأخذ على عاتقه عبأ تقديم برهان إيجابي على أنه يتعامل مع فروق ذات شأن في اللغة القومية والتقليد".

"ومعظم المقارنين، إذ يقرون وجود التعقيد والتداخل، يوافقون على أن هذه الصعوبات ليست من الكثير ولا من الخطورة بحيث تضعف التمييز بين دراسة الأدب داخل الحدود القومية وبين دراسته عبر هذه الحدود".[١٣]

وبعد أن تحدث (ريماك) عن التمييز بين (الأدب المقارن) و(الأدب القومي) أراد أن يبلور مصطلح الأدب المقارن والأدب العالمي على النحو الآتي.

---

[١٣] حسام الخطيب: آفاق الأدب المقارن، ص: ٥٦- ٥٧

٢- الأدب المقارن والأدب العالمي

هناك اختلاف بين (الأدب المقارن) و (الأدب العالمي) في الدرجة، ثم هناك اختلافات أخرى بينهما لها صلة بالموضوع. يشمل (الأدب المقارن) عناصر من المكان والزمان والنوع والكثافة، وهو – من الناحية الجغرافية – يشتمل، شأنه الأدب العالمي، على عنصر المكان، ولكن في الأغلب، وإن لم يكن بالضرورة، ضمن رقعة أضيق. إن الأدب المقارن يتناول غالباً العلاقة بين بلدين أو مؤلفين من جنسيتين مختلفتين، أو بين مؤلف واحد وبلد أجنبي (مثلاً العلاقات الأجنبية الألمانية الفرنسية)، علاقة (بوي) مع (بودلير)، و(إيطاليا في أعمال غوته). أما مصطلح (الأدب العالمي) فهو يعنى ضمناً بالتطابق.

كذلك يستدعى (الأدب العالمي) عنصر الزمان. فالقاعدة هي أن اكتساب الشهرة العالمية يستغرق زمناً، والأدب العالمي يتعامل عامة مع الأدب الذي نال إجماعاً على عظمته بفضل اختيار الزمن. ولذلك يكون الأدب المعاصر أقل نصيباً في نطاق الأدب العالمي، في حين أن الأدب المقارن، ولو نظرياً، يستطيع أن يقارن أي شئ بصرف النظر عن مدى قدم أو حداثة الموضوع أو الموضوعات المقارنة. وعلى أي حال يجب الاعتراف بوضوح أن معظم الدراسات الأدبية المقارنة ربما تنصب، من الناحية العلمية، على تناول شخصيات الماضي التي أحرزت شهرة عالمية، وإن كثيراً مما فعلناه، وما سوف نفعله، هو في واقع الأمر (أدب عالمي مقارن). وإذن يتعامل الأدب العالمي بشكل رئيسي مع الإنتاج الأدبي الذي نال تقديراً عالمياً على مدى الزمن، وأثبت مقدرة على الصمود (من مثل الكوميديا الإلهية، ودون كيشوت، والفردوس المفقود، وكانديد وفيرتر) كما يتعامل ولكن بشكل أقل تميزاً مع مؤلفي عصرنا الذين نالوا حظوة كبرى خارج بلادهم. والأدب المقارن غير مقيد إلى المدى نفسه بمعايير النوعية والقوة. وإن الدراسات المقارنة المضيئة ما زالت تنصب – وسوف تستمر في ذلك – على مؤلفي الدرجة الثانية– وهؤلاء يكونون غالباً أكثر من كتاب الدرجة الأولى تمثيلاً لملامح عصرهم المرتبطة بالزمن، ومثل هذه الدراسات يمكن أن تتناول مؤلفين سبق أن اعتبروا من العظماء، كما يمكن أن تتناول كتاباً أقل مرتبة ممن لم تبلغ سمعتهم آذان العالم الخارجي، ولكن إنتاجهم يمكن أن يمثل اتجاهات ذوقية على النطاق الأوروبي.

يضاف على ذلك أن هناك كتاباً معينين ممن بلغوا المرتبة الأولى في بلادهم دون أن ينالوا اعتراف الأدب العالمي يكونون بشكل بارز أهلاً للدراسات الأدبية المقارنة. وهذه الدراسات بدورها يمكن أن تسهم في إدخالهم محراب الأدب العالمي. إن قائمة الأسماء هذه لا تنتهي.

إن عناصر المكان والزمان والنوعية والقوة تكون اختلافات في الدرجة بين الأدب العالمي والأدب المقارن. ولكن هناك تميزات أكثر صلة بالجوهر. وفي المقام الأول يتضمن المفهوم الأمريكي للأدب المقارن استقصاء حول العلاقة بين الأدب والمدارات الأخرى، في حين الأدب العالمي لا يتضمن ذلك. وفي المقام الثاني المفهوم الأمريكي ينص على تخصيص المنهج للأدب المقارن، والأدب العالمي لا يفعل ذلك. ويتطلب أن تجري المقارنة في المؤلف أو الموضوع أو العمل الأدبي أو الاتجاه في بلد آخر أو محيط آخر.[١٤]

٣- الأدب المقارن والأدب العام

وإن مصطلح (الأدب العام) استخدم لوسم المقررات والمنشورات المعنية بالآداب الأجنبية من خلال الترجمة الإنكليزية، أو بشكل أوسع لوسم تلك الكتابات التي يصعب أن تصنف تحت أى عنوان في الدراسات الأدبية، وهي أحيانا تشير إلى الاتجاهات الأدبي أو المشكلات أو النظريات ذات الاهتمام العام، أو الجماليات. وإن مجموعات النصوص والدراسات النقدية أو التعليقات التي تتناول عدة آداب قد صُنفت ضمن هذا النوع.

ويجب أن نتذكر أن مصطلح الأدب العام - شأنه شأن مصطلح الأدب العالمي- منهج مقارن للتقرب. وفي حين أن مقررات الأدب تمد الدراسات الأدبية بقاعدة ممتازة، فإنها ليست بالضرورة داخلة في الأدب المقارن.

يجدر بالذكر أن التعريف بالأدب المقارن الذي وضعه الباحث الفرنسي "بول فان تييغم" (الصربون) دقيق جداً. وعند "بول فان تييغم" يمثل الأدب القومي والأدب المقارن والأدب العام ثلاثة مستويات متتابعة. فالأدب القومي يعالج مسائل محصورة ضمن نطاق أدب قومي، والأدب المقارن يعالج مسائل يتداخل فيها أدبان مختلفان، والأدب العام مخصص

[١٤] المرجع السابق، ص: ٥٨- ٥٩

لمعالجة تطورات في عدد أكبر من البلدان التي تشكل وحدة عضوية. فيمكن القول: إن الأدب القومي هو دراسة الأدب داخل الجدران، والأدب المقارن هو دراسة الأدب عبر الجدران والأدب العام فوق الجدران.[١٥]

وفي دراسة أدبية مقارنة تبقى الآداب القومية ركائز أولية بوصفها مراسي للاستقصاء، وفي دراسة للأدب العام تكون الآداب القومية ببساطة أمثلة للاتجاهات الدولية. ووفقاً لـ"فان تييغم" فإن دراسة للمكانة الأدبية (لهيلوئيز الجديدة) لروسو، لابد أن تكون جزءاً من الأدب القومي، في حين أن دراسة حول تأثير ريتشاردسون في (هيلوئيز الجديدة) لابد أن تنتمي إلى الأدب المقارن، أما الدراسة الْمَسْحية للرواية العاطفية الأوربية، فلابد أن تكون من (الأدب العام).[١٦]

ويميل حسام الخطيب إلى الاعتقاد بأن تقسيماً جازماً للعمل بين الأدب القومي والأدب المقارن والأدب العام غير قابل للتطبيق وغير مرغوب فيه كذلك. إن باحثي الأدب القومي يجب أن يدركوا ويتصرفوا من خلال التزامهم بتوسيع آفاقهم ويجب تشجيعهم ليقوموا بين حين وآخر بنزهات في آداب تتصل بالأدب القومي وأجواء أخرى.[١٧]

فليس ثمة حدّ فاصل بين المصطلحات التي ناقشناها، والتداخل بينها قائم. على أن تعريف الأدب القومي والأدب المقارن والتمييز بينهما واضح إلى حدّ يمكن الاستفادة منه.

و(الأدب العالمي) بمعنى الأدب الذي يحظى باستحقاق ونجاح بارزين يؤهلانه لأن يجلب انتباهاً دولياً، هو مصطلح ذو جدوى، على ألا يستخدم بتهاون ليكون نوعاً من البديل للأدب المقارن أو للأدب العام. ومن المأمول كذلك أن يجري تجنّب مصطلح (الأدب العام) حيثما أمكن ذلك، لأنه يعني – في الوقت الحاضر على الأقل– أشياء عديدة مختلفة جداً عند أناس عديدين. ويجب أن نستخدم مكانه مرادفاً يفيد الدلالة المقصودة: أدب مقارن، أو أدب عالمي، أو أدب مترجم، أو أدب غربي، أو نظرة أدبية، أو بنية الأدب، أو أدب فحسب، وفقاً لما قد تقتضيه كل حالة.

---

[١٥] المرجع السابق، ص: ٦٠–٦١

[١٦] المرجع السابق، ص: ٦٢

[١٧] المرجع السابق، ص: ٦٣– ٦٤

ولكننا نلاحظ أن المدرسة الفرنسية لا تؤيد توسيع باب الأدب المقارن لإدخال موضوعات لا تندرج فيه، لأن هناك فرق بين تلك الدراسات في الأدب العام من ناحية وبين دراسات الأدب القومي والأدب المقارن من ناحية أخرى. ذلك أن من طبيعة الدراسات في الأدب العام ألا تأبه بالحدود القومية للآداب، وألا تقتصر على أدبين أو ثلاثة، بل تتناول في بحوثها لكل حركة أدبية كل الآداب التي تطورت فيها تلك الحركة، ضاربة صفحاً عن كل ما هو موضعي أو خاص بأدب قومي بعينه، غير ملقية بالا إلا إلى ما له صدى في الآداب العالمية، وما له تأثير في توجيه التيارات الفكرية خارج حدود الأدب القومي.

ومن هنا يتضح أن هذه الدراسات لا تعتمد على تلخيص دراسات الأدب القومي واختصارها، بل إن لها اتجاهاً خاصاً بها لا تحده الفواصل اللغوية والجنسية، ولا ينظر فيه إلا إلى شرح الحقائق والعوامل التي تتحكم في تطور الأفكار والحركات في الآداب باعتبارها نتاجاً إنسانياً عاماً. وعلى هذا فغاية الأدب العام هي: "معرفة الأحوال المشتركة الفكرية والفنية، وتحديدها، ودراستها في مختلف أشكالها وصورها في أنواع الآداب التي يمكن مقارنتها بعضها ببعض، فيكون هناك تاريخ أدب عام للأمم القديمة اليونانية والرومانية، وآخر للشرق الإسلامي، وثالث للآداب العربية الحديثة، رغبة في تحديد اللحظات الفاصلة، وتصوير النبضات الحيوية الفكرية والخلقية والفنية التي يترجم عنها لسان الأدب".[١٨]

وفي نهاية حديثنا نقول:

"ولا يخفى أن للصورة الأدبية للشعوب- كما تنعكس في مرآة آدابها- تأثيرا عميقا في علاقاتها بعضها ببعض، أيا كان نوع تلك العلاقات، ولها كذلك تأثير على عقول قادة الأمة من الساسة والمفكرين في تكوين رأى عام قد ينتج عنه اتجاه خاص في علاقاتها مع غيرها. وكل هذا من نواحى النشاط الأدبي في الميادين الدولية. ويهتم الأدب المقارن بالكشف عن هذه النواحى من الوجهة التاريخية، وبيان مظاهرها المختلفة على مر الأجيال. وبهذا يمهد الأدب المقارن لكل أمة أن تعرف مكانتها لدى غيرها من الأمم، وأن ترى صورتها في مرآة غيرها من آداب الشعوب، ويتاح بذلك لها أن تعرف نفسها حق المعرفة، وأن تحاول

[١٨] محمد غنيمي هلال: الأدب المقارن، ص: ٤٥٣

تصحيح وضعها أو الدفاع عن نفسها. وبذلك تتهيأ الفرصة للتفاهم الحق والتعاون الصادق بين الشعوب." [١٩] وللأدب المقارن رسالة إنسانية أخرى، هي الكشف عن أصالة الروح القومية في صلتها بالروح الإنسانية العامة في ماضيها وحاضرها. فمن المسلم به أن أعمق ما يشف عن روح الأمة هو أدبها، كما أنه لا يكشف شيء عن وحدة الروح الإنسانية ما يشف الأدب الإنساني كله. ومعرفة كلا الأمرين حق المعرفة تتوقف على معرفة الآخر، فلا يستطاع تقويم الأدب القومي حق التقويم، ولا توجيهه خير توجيه، إلا بالنظر إليه في نسبته إلى التراث الأدبي الإنساني جملة.

[١٩] المرجع السابق، ص: ٤٢٨، وانظر أيضا صفحة "**ب**" من مقدمة الطبعة الثالثة للأدب المقارن للدكتور محمد غنيمي هلال.